

(الإمبراطورية الرومانية ومحاولات السيطرة على جنوب وسط بلاد العرب قبل الإسلام)

د. سالم عبدالسلام عرفة

جامعة طرابلس، كلية الآداب، قسم التاريخ

الملخص:

كان للموقع الجغرافي الهام الذي تميزت به بلاد العرب دوراً هاماً في اتصالها بالعالم القديم، وقد فطن الساسة الرومان في تلك الفترة إلى أهمية موقع بلاد العرب الجغرافي الواقع على خطوط التجارة البرية والبحرية، ولذلك حاولوا عدة مرات فرض سيطرتهم عليها، حيث أرسل الإمبراطور الروماني أغسطس حملة عسكرية سنة 24 ق.م بقيادة اليوس غالوس، من أجل احتلال بلاد العرب والسيطرة على طرقها التجارية والبرية والبحرية، وعندما فشلت الحملة في تحقيق أهدافها تحالفت الأباطرة الرومان مع حكام الحبشة بحكم قربها من بلاد العرب من أجل مساعدتهم في أحكام سيطرتهم على بلاد العرب ومنافذها البحرية، وكان من نتيجة هذا التحالف الحبشي الروماني غزو الأحباش لبلاد اليمن عدة مرات كان آخرها حملة أرياط الحبشي على بلاد اليمن، وحملة أبرهة على مكة سنة 570م والتي كان هدفها السيطرة على منطقة الحجاز ووسط بلاد العرب وربط اليمن ببلاد الشام.

Abstract

The important geographical location that featured the Arab countries was with an important role in connecting them with the old world. The Roman politicians of that period have realized the importance of the geographical location of Arab countries. Hence, they attempted to invade them several times where the Roman emperor August has sent a military battle under the leadership of Aelius Gallus in 24 B. D. to invade the Arab countries to controlling its marine and land commercial roads. Following the failure of this battle to attain its aims, the Roman emperors have allied with the state of Abyssinia due to its closure to the Arabs so as to help them control the Arab countries and its sea ports tightly. Among the results of this Roman- Abyssian coalition was the invasion of Abyssians of the Yemeni state several times, the last of which was the battle of Abyssian Aryat on the Yemeni state and the battle of Arha on Mecca on the year 570 which aimed to controlling Hejaz region at the middle of Arab countries and connecting Yemen with Sham countries.

أهمية موقع جنوب بلاد العرب:-

اجتمعت عدة عوامل جعلت من منطقة جنوب بلاد العرب ذات موقع جغرافي هام، ولها أهمية إستراتيجية في العالم القديم، أهمها الموقع الجغرافي لجنوب بلاد العرب التي تقع على شواطئ بحر العرب وتتحكم في مدخل بحر القلزم / البحر الأحمر عبر مضيق باب المندب، وهو شريان وممر مائي هام للتجارة الدولية، ولذلك حرصت الإمبراطورية الرومانية على التواجد في منطقة بحر القلزم ومحاوله السيطرة عليها لكي تشرف على هذا المضيق الذي يشكل المنفذ البحري الوحيد للرومان نحو بلاد الهند وشرق آسيا وأفريقيا، كذلك تتحكم منطقة جنوب بلاد العرب في مدخل الخليج العربي عبر مضيق هرمز، وهو شريان إستراتيجي للفرس ومنفذهم البحري الوحيد إلى بلاد الهند وشرق آسيا وأفريقيا، لذلك حاول الفرس بكل الطرق إبعاد النفوذ الروماني عن منطقة الخليج العربي واحتكارهم للملاحة في تلك المنطقة تأميناً لتجاريتهم مع بلدان الشرق، وكذلك عمل الرومان على إبعاد النفوذ الفارسي عن منطقة بحر القلزم وبحر العرب وجعله بحراً رومانياً كلما أمكن ذلك، فضلاً عن ذلك تمتعت منطقة جنوب بلاد العرب بساحل بحري طويل- يشمل اليمن وحضرموت والمهرة وعمان- ممتلئ بالتعاريح والخلجان الطبيعية التي لعبت دوراً هاماً في تأسيس العديد من الموانئ البحرية على أطرافه.

كذلك كان للظروف المناخية دورا هاما في أن تصبح منطقة جنوب بلاد العرب حلقة الوصل بين القارة الأفريقية في الغرب وبلاد الهند والصين في الشرق، وذلك من خلال معرفة العرب سر الرياح الموسمية التي كانت تهب في فصل الخريف من الناحية الشمالية الشرقية إلى الجنوب الغربي فتخرج السفن الشراعية من جنوب شبه الجزيرة العربية إلى المحيط الهندي ثم تسير بمحاذاة الساحل الأفريقي الذي ينحني في اتجاه جنوبي غربي، وفي فصل الربيع تهب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية إلى الشمال الشرقي فتتمكن السفن من العودة إلى قواعدها في جنوب شبه الجزيرة العربية.

ومن خلال دورة الرياح هذه كان يتم التعامل التجاري، وقد ظل سر هذه الرياح يمتلكه العرب حتى استطاع الملاح الإغريقي هيبالوس (Hypalos) اكتشافه في القرن الأول الميلادي.⁽¹⁾

كما كان للتربة الخصبة وانتظام سقوط الأمطار دورا هاما في تشجيع سكان جنوب بلاد العرب على ممارسة العمل الفلاحي، مما انعكس على حياة سكانها باستنبات العديد من المزروعات وفي مقدمتها الأشجار التي تنتج السلع الكمالية كالبخور والعمور واللبان، والتي كانت مطلوبة بكثرة في أسواق الإمبراطورية الرومانية واستهلكت بكثرة في المجتمع الروماني الذي سادته حالة من الترف والرخاء في تلك الفترة⁽²⁾، فضلا عن وقوع منطقة جنوب بلاد العرب بين منطقتين متباينتين، المنطقة الموسمية التي تشمل الهند والصين التي اشتهرت بإنتاج وتصدير التوابل والصناعات الحريرية والصوفية، ومنطقة البحر المتوسط التي تشتهر بإنتاج الحبوب وبعض المصنوعات المنزلية، مما مكن العرب الجنوبيين من مزاوله التجارة بين المنطقتين⁽³⁾، وهذا ما أدى إلى تكاليف القوى الدولية في تلك الفترة على جنوب بلاد العرب.

انطلاقا من هذا الفهم لموقع جنوب بلاد العرب وإمكانياتها الاقتصادية نستطيع أن نقول إن موقع جنوب بلاد العرب الاستراتيجي جعل منه قلبا للعالم القديم، بحيث من يسيطر عليه يتيسر له فرض هيمنته على غربي آسيا وشبه القارة الهندية، ويبدو أن هذه الحقيقة لم تغب عن ذهن الساسة الرومان الذين حاولوا السيطرة والتحكم في منطقة جنوب بلاد العرب مرات عدة.

هذا البحث لا يعدو أن يكون محاولة مفصلة من خلال مجهود تجميعي للمعطيات التي وفرها المؤرخون العرب القدماء منهم والمحدثون للإجابة على السؤالين التاليين: ما هي الأسباب التي جعلت الرومان يحاولون السيطرة على جنوب بلاد العرب عسكريا أو سلميا؟ وما هي النتائج التي ترتبت على ذلك؟ وتهدف الدراسة إلى تبيان سياسة الإمبراطورية الرومانية تجاه منطقة جنوب بلاد العرب ومحاولات السيطرة عليها، وتكمن الإشكالية المطروحة في التعرف على الوسائل التي استعملها الرومان من أجل بسط نفوذهم على تلك المنطقة، ووفقا لذلك تنطلق الدراسة من فرضية ان الصراع الفارسي الروماني في شمال بلاد العرب كان له انعكاساته على منطقة جنوب بلاد العرب ذات الأهمية الإستراتيجية في التجارة الدولية لذلك سعي كلا من الأحباش والرومان على إبعاد النفوذ الفارسي عن تلك المنطقة.

المحاولات الرومانية لغزو منطقة جنوب بلاد العرب:-

حاول الرومان السيطرة على بلاد العرب بصفة عامة وطرقها البحرية ودروها البرية عدة مرات، وقد أدركوا أهمية موقعها الإستراتيجي منذ حملة لوكولوس (Lucullus) على آسيا الصغرى في القرن الأخير ق.م، وقيام سوللا (Solla) بحروية في الشرق واحتلال بومبي (Pompeii) لسوريا، وتغلغل النفوذ الروماني في مصر⁽¹⁾، حيث عمل الإمبراطور الروماني أغسطس (Augustus) (26ق.م-14م) على تحويل طريق التجارة في البحر الأحمر إلى الموانئ

(1) جمال زكريا قاسم، "انتشار الإسلام في جزر الشرق الأقصى"، مجلة العربي، مارس 1971، ص33.

(2) جورج فاضلو حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر، القاهرة، 1958، ص24.

(3) علي محمد معطي، تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام، دار المنهل اللبناني، بيروت: 2003م، ص109-111.

(1) سيد أحمد الناصري، الرومان والبحر الأحمر، مجلة الدارة، العدد الثاني، يناير 1981، ص10.

المصرية مثل ميناء بيرنكس (الهراس) وقيوس هورموس (ابوشعر القبلي) واسينوي (السويس) وذلك من أجل سببين رئيسيين: تمثل السبب الأول في تأمين الاحتياجات المتزايدة للمنتجات العربية الجنوبية، مثل اللبان والبخور والتوابل من قبل مجتمع روماني سادته حالة من الرخاء، والسبب الثاني تمثل في محاولة روما تأمين حدودها الشرقية خاصة بعد غزوها لسورية ومصر سنة 30 ق.م.⁽²⁾

ويرى الباحث ان كل هذه التحركات الرومانية بداية من قيام سوللا بحروبه في الشرق واحتلال سوريا ومصر وتحويل طريق تجارة البحر الأحمر إلى الموانئ المصرية هدفها التمهيد لاستكمال السيطرة على منطقة بلاد العرب التي تعتبر البوابة الرئيسية نحو أسواق الشرق.

في سنة 25 ق.م أدرك الإمبراطور الروماني أغسطس أن الوقت قد حان لإرسال حملة عسكرية إلى بلاد العرب من أجل السيطرة على البحر الأحمر وجعله بحراً رومانياً خالصاً ومنطقة جنوب بلاد العرب، حيث كلف قائد جيشه في مصر اليوس غالوس Aelius Callus بقيادة حملة على بلاد العرب⁽¹⁾ فانطلقت الحملة الرومانية بقواتها البالغ عددها مائة وثلاثون سفينة حربية على متنها عشرة آلاف جندي من الميناء المصري ارسينوي Arsinoe عند الطرف الشمالي الشرقي لخليج القلزم / السويس صوب أحد الموانئ النبطية على الساحل الشرقي للبحر الأحمر المسمى ميناء لويكة كومي⁽²⁾ LeukeKome حتى وصل إلى مدينة مأرب في جنوب بلاد العرب ذات التحصينات المنيعه فحاصرها ستة أيام ثم فك عنها الحصار وتراجع بسبب قلة المياه والتموين، وتفشي الأمراض بين جنوده ومقاومة أهل المدينة للحملة الرومانية⁽³⁾، وكانت دوافع الحملة تتمثل في أحكام سيطرتهم على الطرق التجارية البرية والبحرية المارة ببلاد العرب وجعل موانئ بحر القلزم وموانئ بحر العرب تحت السيطرة الرومانية لتأمين إستراتيجيتهم أمام التحدي الفارسي، وخاصة بعد تهديد الفرس لطرق التجارة البرية الواقعة في أقصى شمال شبه الجزيرة العربية والمارة بآسيا الصغرى والتي كانت تربط روما بآسيا الصغرى⁽⁴⁾، ولذا اتجه الرومان إلى البحث عن طرق أخرى بديلة عن الطرق الواقعة تحت النفوذ الفارسي، وذلك عن طريق محاولتهم السيطرة على جنوب بلاد العرب التي تعتبر البوابة الرئيسية للطريق التجاري المؤدي إلى بلاد الهند، فضلاً عن السيطرة على مصادر ثروة جنوب بلاد العرب وهذا ما يؤكد سترابو الذي يقول في مطلع وصفه لحملة أليوس غالوس أن الإمبراطور أغسطس أرسل أليوس غالوس للبحث عن الشعوب الغنية والأماكن التي يعيشون فيها، وعن حدود بلاد أثيوبيا وبلاد العرب لعقد معاهدات معها أو احتلالها، لقد سمع أنها شعوب غنية جداً لأنها تقايض التوابل بالذهب والفضة والأحجار الكريمة، وأنها لا تحتاج إلى استيراد البضائع من الخارج، فأراد إما أن يكون منهم أصدقاء أغنياء، وأما أن يحتل بلد أعداء أغنياء⁽⁵⁾.

ورغم تعاون ملك الأنباط عبادة الثاني Obadas II (28 – 9 ق.م) مع الرومان في إعداد الحملة وتجهيزها وتقديم كافة التسهيلات اللازمة من أجل إنجاحها حيث كلف وزيره سيلايوس Sylaeus (صالح) بمرافقة الحملة ليكون دليلاً لها لمعرفة بالطرق البرية ببلاد العرب، إلا أن الحملة الرومانية رغم وصولها إلى مدينة مأرب بعد رحلة مليئة بالأهوال والمتاعب ومحاصرة المدينة أكثر من ستة أشهر أضطر قائدها إلى فك الحصار عن مأرب والرجوع بقواته إلى بلاده، فشلت الحملة في تحقيق أهدافها من حيث السيطرة على جنوب العرب لعدة أسباب منها خيانة الوزير صالح الذي لم يكن صادقاً في إرشاد الحملة إلى الطرق البرية الآمنة، وتفشي الجوع والعطش

⁽²⁾ لطفى عبد الوهاب يحيى، العرب في العصور القديمة، دار المعارف، الإسكندرية: 1990، ص 425.

⁽¹⁾ سترابو، جغرافية سترابو، الكتاب السادس عشر، ترجمة محمد المبروك الدوب، منشورات جامعة قاربونس، بنغازي: 2006، ص 34.

⁽²⁾ لطفى عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص 427.

⁽³⁾ سترابو، المصدر السابق، ص 95.

⁽⁴⁾ لطفى عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص 424.

⁽⁵⁾ سترابو، المصدر السابق، ص 94.

بين جنود الحملة بسبب قلة المياه والمواد الغذائية، وانتشار الأوبئة والأمراض، ومقاومة القبائل العربية للحملة الرومانية⁽¹⁾.

ويبدو أن سياسة الرومان بعد فشل حملة اليوس غالوس قد تبدلت دون أن يتغير الطموح في السيطرة على المحيط الهندي وبحر القلزم، فلم يعد الإمبراطور أغسطس يفكر في غزو بلاد العرب غزوا بریا منفردا ومباشرا، بل اتجه إلى تقوية أسطوله في البحر الأحمر وتحسين علاقاته ويبدو أن سياسة الرومان بعد فشل حملة اليوس غالوس قد تبدلت دون أن يتغير الطموح في السيطرة على المحيط الهندي وبحر القلزم، فلم يعد الإمبراطور أغسطس يفكر في غزو بلاد العرب غزوا بریا منفردا ومباشرا، بل اتجه إلى تقوية أسطوله في البحر الأحمر وتحسين علاقاته ببعض سادات القبائل العربية^(*) للمحافظة على مصالح روما الاقتصادية في المنطقة، وعقد اتفاقيات صداقة وتحالف مع نجاشي الحبشة من أجل تكوين حلف روماني حبشي يستطيع ان يكون له موطي قدم في منطقة بلاد العرب⁽²⁾.

التحالف الحبشي الروماني:-

أدرك الساسة الرومان أهمية موقع الحبشة الجغرافي في التجارة الدولية لإطلالها من الضفتين على المدخل الجنوبي لبحر القلزم، وقربها من جنوب شبه الجزيرة العربية، ووقوعها على طريق التجارة المؤدي إلى بلاد الهند، كما كانت على تخوم بلاد مصر الواقعة تحت الاحتلال الروماني⁽³⁾، لذلك بذل الرومان مجهودات كبيرة من أجل إقامة علاقات صداقة وتحالف معها ضد بلاد العرب، ويرجع أمر تلبية الحبشة لدعوة الرومان للتحالف معها ضد العرب إلى رغبة الأحباش في القضاء على مضايقة العرب الحميريين لقوافلها التجارية في بحر القلزم / البحر الأحمر، فضلا عن طمعها في ثروات بلاد العرب، وضمن هذا الإطار دعم الرومان والأحباش التمرد والعصيان الذي قاده مدينة نجران ضد مملكة سبأ في محاولة من الحلف الحبشي الروماني لانتزاع السيطرة على طرق التجارة البرية المؤدية إلى بلاد الشام من دولة سبأ وإسقاطها⁽⁴⁾، وفي عهد الإمبراطور الروماني كلاوديوس (41-54م) استطاع الرومان احتلال ميناء عدن بالتعاون مع حلفاءهم الأحباش وبعض سادات القبائل العربية المؤيدة للرومان، فانشؤا فيها حامية رومانية كانت مهمتها حماية المصالح الرومانية في تلك المنطقة⁽¹⁾.

وفي أواخر عهد الدولة الحميرية (300-525م) تعرضت جنوب بلاد العرب لأزمات سياسية واقتصادية نتيجة لعدة عوامل من بينها الحروب والنزاعات القبلية، وتحول طرق التجارة من غرب الجزيرة العربية إلى طريق الحرير في آسيا الوسطى عبر بلاد فارس إلى الأناضول، فاستغل الرومان والاحباش هذا الوضع السياسي المضطرب وغزو جنوب بلاد العرب واحتلوا أجزاء منها في حوالي سنة 340م، وقتلوا ملكها^(*) وأقياله الحميريين⁽²⁾، وعين نجاشي الحبشة نائبا مواليا له لحكم اليمن، واخضع البلاد للجزية وأسس عدة حاميات حبشية لتوطيد حكم نائبه، وقام ببناء عدة كنائس وشجع النصراري على الإقامة والعبادة الحرة، ثم عاد إلى الحبشة مع عدد كبير من

⁽¹⁾ سترابو، المصدر السابق، ص 94، جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت: 1971م، ج 7، ص 272، أسهمان سعيد الجرو، التاريخ السياسي لجنوب شبه الجزيرة العربية، مؤسسة حماد للخدمات والدراسات الجامعية، عدن: 1996، ص 195، حسين الشيخ الروماني، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية: 1993، ص 89.

⁽²⁾ عقد الرومان معاهدة صداقة وتحالف مع ملك حمير الذي كان يملك مناطق واسعة من سواحل بلاد العرب الجنوبية حتى حضرموت، ينظر جواد علي، مرجع سابق، ج 3، ص 138-139.

⁽³⁾ فكتور سحاب، ايلاف قريش، دار كومبونيشر والمركز الثقافي العربي، بيروت: 1982، ص 53-54.

⁽⁴⁾ فكتور سحاب، المرجع السابق، ص 119.

⁽⁵⁾ جواد علي، المرجع السابق، ج 3، ص 138.

⁽⁶⁾ جواد علي، المرجع السابق، ج 7، ص 274.

⁽⁷⁾ لم يذكر نقش حصن الغراب اسم الملك في النص الذي يعود تاريخه إلى سنة 640 من التقويم الحميري الموافق 525م، ينظر جواد علي، المرجع السابق، ج 3، ص 460.

⁽⁸⁾ جواد علي، المرجع السابق، ج 3، ص 459-460، سيد احمد الناصري، الروم والمشرق العربي، مركز نشر جامعة القاهرة، القاهرة: 1993، ص 180.

الأسرى وكذلك معظم أفراد جيشه لإخماد تمرد نشب ضده هناك، فاستغل أهل اليمن انسحاب القوات الحبشية من اليمن، وهاجموا بقية أفراد الحاميات الحبشية بقيادة ذانواس (The Nawas) الذي استطاع تحرير حضرموت ومخا وظفار، ثم اتجه إلى نجران معقل النصاري ومركز قوة الأحباش والرومان حيث قتل ونكل بعدد كبير منهم في واقعة الأخدود⁽³⁾، وهذا ما نتج عنه ضعف الوجود الحبشي الروماني وبالتالي عدم إقبال الناس على اعتناق المسيحية التي أصبحت في نظرهم انحياز إلى المحتل الحبشي.

ولذلك اهتم السياسة الرومان منذ عهد قسطنطين الكبير (Constantine The Great) (324-337م) بأمرين الأول الاتصال ببعض سادات القبائل العربية من أجل تأييد سياستهم في المنطقة، والأمر الثاني نشر الديانة المسيحية في بلاد الحبشة وبلاد العرب حتى تكونا على عقيدة روحية واحدة مع الإمبراطورية الرومانية من أجل تمهيد السبيل لبسط نفوذهم السياسي والاقتصادي وترسيخ وجودهم في تلك البلدان باسم العقيدة الدينية التي تجمعهما، ففي سنة 356م أرسلت السلطات الرومانية مبشر رومي يسمى ثيوفيلوس (Theophilus) إلى ملوك حمير من أجل حماية مصالح التجار الرومان، ونجح في تأسيس ثلاث كنائس مسيحية للتجار الروم، الأولى في عدن والثانية في ظفار والثالثة في هرمز⁽⁴⁾، ثم توالى قدوم العديد من المبشرين من الشام إلى جنوب بلاد العرب لنشر الديانة المسيحية. ففي عام 500م نجح مبشر سوري اسمه قميون Gimion في نشر المسيحية على المذهب المونوفيزي⁽⁵⁾، وأسس كنيسة باليمن، كما حاول الإمبراطور الروماني جستين الأول (Justin 1) (518-527) أقتناع التابع الحميري بعقد معاهدة تحالف معه تنص على منع وصول النفوذ الفارسي إلى جنوب بلاد العرب، غير أن التابع الحميري رفض هذا الحلف بسبب تأثير مستشارية اليهود أعداء الروم وأصدقاء الفرس وخاصة أن الفرس كانوا يسيطرون على الطريق البحري بين الهند والخليج العربي⁽¹⁾.

كذلك حاول الإمبراطور الروماني يوليان (Julian) ضم بعض القبائل العربية إلى التحالف الحبشي الروماني لتصبح دعامة يعتمد عليها في السيطرة على طرق القوافل البرية المؤدية إلى جنوب بلاد العرب ويتضح هذا من خلال مطالب مبعوث الإمبراطور يوليان إلى قيس حاكم قبيلتي كنده ومعد باعتباره اقدر سيد بمناطق وسط الجزيرة العربية واقوهم جميعا وفوق ذلك كان بمقدوره الاشراف على الطرق البرية وتقوية الروابط مع الحميريين والأحباش ومحاربة الفرس، إلا أن هذه المحاولة باءت بالفشل ولم تحقق ما كانت تهدف إليه الإمبراطورية الرومانية من عون ومساندة من قيس⁽²⁾.

ولم يهتم السياسة الرومان والأحباش كثيرا بانتشار المسيحية في بلاد العرب والحبشة على المذهب المونوفيزي المخالف للمذهب الأريوسي^(*) المذهب الرسمي للإمبراطورية الرومانية، ولم يمنع ذلك من قيام علاقات صداقة بين الدولتين نظرا لحاجة روما إلى حليف لها عند مدخل باب المندب تستخدمه كقاعدة أمامية لانطلاق سفنها إلى بلاد الهند والسيطرة على جنوب بلاد العرب الجنوبية وإبعاد النفوذ الفارسي عنها^(**) وفي هذا الإطار طلب نجاشي الحبشة من الإمبراطور الروماني جستينيان (Justinian) (527-565) أن يرسل إلى الحبشة مبشرا بعلم الأحباش المذهب الأريوسي، وعلى الفور أرسلت كنيسة القسطنطينية مبشرا اسمه يوحنا الذي نجح في مهمته

⁽³⁾ فكتور سحاب، المرجع السابق، ص 132-133.

⁽⁵⁾ يرى أصحاب هذا المذهب أن للمسيح طبيعة واحدة وهي ربانية. ينظر: سيد احمد الناصري، الروم والمشرق العربي، ص 183.

⁽¹⁾ نينا فكتورنا بيغوليفسكيا، العرب على حدود بيزنطية وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1985، ص 211، سيد احمد الناصري، الروم والمشرق العربي، ص 184.

⁽²⁾ نينا فكتورنا بيغوليفسكيا، المرجع السابق، ص 199-202.

^(*) المذهب الأريوسي ينسب على أرسوس Arius الذي كان يرى بأن للمسيح طبيعتين واحدة بشرية وهي الناسوت، وأخرى ربانية وهي اللاهوت.

^(**) يرى مونتغمري أن السياسة الرومان كانوا يفضلون وجود النصاري على المذهب المونوفيزي في اليمن على وجود اليهود او النساطرة

المتحالفين مع الفرس ينظر. Montgomery-watt: Muhammda at Mecca. Oxford university press: 1953, p12.

السياسية أكثر من نجاحه في مهمته الدينية، لأنه عاد بعد بضعة سنوات إلى بلاده ومعه وفد من كبار أعيان الحبشة لعقد معاهدة صداقة مع الروم تقوم على أساس سياسي وديني واقتصادي، وكان من أهم بنودها أن تقوم الحبشة بنشر المسيحية على المذهب الأريوسي في جنوب بلاد العرب وإسقاط الدولة الحميرية الموالية للفرس وتطوير النفوذ الفارسي في جنوب بحر القلزم والساحل الجنوبي الشرقي للجزيرة العربية⁽³⁾.

وعلى الرغم من انتصار اليمينيين بقيادة التابع اسعد كامل (385-420م) على الغزو الحبشي الأول لليمن ونجاحه في طردهم من اليمن سنة 387م واستعادته للدولة الحميرية الثانية إلا أن استقرار الدولة الحميرية لم يكن مضمون بسبب سياسة التنكيل بالنصاري التي اتبعها خلفه الملك ذي نواس وفتور علاقاتها مع المنذر ملك الحيرة وقياد كسري فارس نتيجة تخلى الفرس عن ذي نواس ومصالحتهم للروم في مؤتمر الرملة سنة 524م، وبذلك نجح الروم في عزل الملك اليميني ذي نواس اليهودي عن القوى الوحيدة المؤثرة التي تستطيع تقديم يد العون له وأصبح الوقت مناسباً لغزو اليمن مرة أخرى.

حاول الإمبراطور الروماني جستنيان (527-565م) السيطرة على تجارة بحر القلزم خاصة، وان مصر التي تتحكم في منافذه الشمالية كانت ولاية رومانية ومنفذا لتصدير البضائع، ولانجاز ذلك كان لابد وان يلتفت الى تقوية علاقاته بدولة الحبشة التي أخذت تقوم بدور فاعل ومؤثر في جنوب بحر القلزم بدءاً من القرن الثالث الميلادي، وبما أن مكانة دولة الحبشة قد اكتسبتها من كونها مسيحية فقد أدت تلك الحقيقة إلى تقوية الروابط بين الروم والأحباش، فأرسل إليهم الإمبراطور جستنيان المبشرين وقوى الأمل عندهم لنشر الديانة المسيحية في جنوب بلاد العرب تمهيدا لاحتلالها وللمحد من حركة التهويد التي كانت منتشرة بين العرب على أيدي أحبار اليهود الذين كانوا يحقدون على الروم باعتبارهم نصاري وورثة للرومان الذين طردوهم من فلسطين سنة 70م، فضلاً على أن الدولة الفارسية كانت تحابي اليهود نكاية بالرومان وتعتبرهم عملائها في بلاد العرب ولذلك تحالف الروم والأحباش لغزو جنوب بلاد العرب⁽¹⁾.

الغزو الحبشي الروماني لبلاد اليمن:-

وصف الطبري غزو الأحباش لليمن بقوله "فخرج رجل من أهل نجران حتى قدم على ملك الحبشة واتاه بالإنجيل قد أحرقته النار بعضة، فقال له: الرجال عندي كثير، وليست عندي سفن، وأنا كاتب إلى قيصر في البعثة إلي بسفن احمل فيها الرجال، فكتب إلى قيصر في ذلك وبعث إليه بالإنجيل المحروق فبعث إليه قيصر بسفن كثيرة"⁽²⁾، من خلال هذا النص نستنتج أن الروم كانوا غير قادرين على إرسال العدد اللازم من الجنود، وكذلك الحبشة كانت لا تملك وسيلة نقل الجنود إلى بلاد اليمن عبر بحر القلزم، ولذلك ساعد الروم حلفائهم الأحباش في نقل جنودهم من الحبشة إلى اليمن عبر بحر القلزم بستون سفينة وساهم الأحباش بعشرة سفن ويبدو أن الحميرين كانوا على خلاف في تلك الفترة فيما بينهم فلم يشتركوا جميعاً في الحرب مع ذانواس ضد الأحباش، ولذلك انتصر الأحباش بقيادة ارباط على الحميريين بسهولة، خاصة بعدما خذل الفرس ذانواس ولم ينجدوه عندما استنجد بهم⁽³⁾.

كذلك يفهم من خلال النص السابق للطبري أن سبب غزو الأحباش لليمن تعذيب ذانواس لنصاري نجران، وقد ورد ذكر هذه الحادثة في القران الكريم في قوله تعالى "فَقَتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارُ ذَاتِ الْوُقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ"⁽¹⁾ ويرى العديد من المؤرخين أن ذانواس حاول التنسيق مع

⁽³⁾ عبدالمجيد عابدين، بين الحبشة والعرب، دار الفكر العربي، القاهرة: 1947، ص 39-40، سيد احمد الناصري، الروم والمشرق العربي، ص 184

⁽¹⁾ سيد احمد الناصري، الروم والمشرق الغربي، ص 180.

⁽²⁾ الطبري، ابوجعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، دار الكتب المصرية، القاهرة: ب.ت.ج.6، ص 106

⁽³⁾ فكتور سحاب، المرجع السابق، ص 136-138.

⁽¹⁾ سورة البروج، الآية 4-7.

حاكم الحيرة من أجل اضطهاد النصارى الموجودين في دولته، فأرسل اليه كتابا يحثه فيه على الانتقام من النصارى الموجودين في مملكته، فيقول شمعون الارشعي عن الرسول الذي بعثه ذانواس "فلما وصلنا إلى هناك جمع [المنذر] عسكره وقرأ أمامهم المكتوب، وحكى الرسول عن نكبة النصارى وعن الطريقة التي تم بها تعذيبهم على يد الحميريين، ثم استدعى نصاري دولته وقال لهم: لقد سمعتم بما حدث فما عليكم الآن سوى طرح المسيح لأنني لست خيرا من غيري من الملوك الذين يضطهدون النصارى"⁽²⁾ وفي مارس 524م وصل رسول آخر من دولة حمير إلى حاكم الحيرة المنذر يحمل أنباء مفصلة عن الإضطهادات التي جرت للنصارى في اليمن، إلا أن المنذر لم يتخذ أي إجراء مشدد ضد نصارى دولته⁽³⁾ ربما هذا كان بتوجيه من كسرى فارس بعدم الانتقام منهم لأنهم كانوا على المذهب المخالف للإمبراطورية الرومانية.

أن حادثة الأخدود لم تكن السبب المباشر لغزو اليمن لعدة أسباب منها: أن نصاري اليمن لم يكونوا على المذهب الاريوسي المذهب الرسمي للإمبراطورية الرومانية، بل كانوا على المذهب المونيفيزي وكثيرا ما اضطهدت الإمبراطورية الرومانية أصحاب هذا المذهب وطردتهم من الأراضي التابعة لها، بل كانت الذريعة التي اتخذوها الرومان من أجل بسط سيطرتهم على كامل منطقة جنوب بلاد العرب ذات الأهمية الإستراتيجية في العالم القديم، وخاصة أن اغلب الطرق البرية - الترانزيت - كانت تمر بالأراضي الفارسية من بلدان الشرق الأقصى، ولذلك حاول الرومان إيجاد طرق أخرى بديلة عن تلك الطرق التي كانت تحت السيطرة الفارسية، وخاصة في أوقات الحرب، فلجأت الإمبراطورية الرومانية إلى تأمين طريق بحر القلزم والمحيط الهندي وذلك عن طريق تحالفها مع الأحباش ومساعدتهم على غزو اليمن وخاصة بعد نشاط الفرس البحري في الخليج العربي وتأسيس اردشير الأول (Ardashir I) (225-241م) عدة موانئ بحرية ونهرية في الخليج العربي، فضلا عن ذلك فقد كان سبب الغزو الحبشي الروماني لليمن احتواء منطقة جنوب بلاد العرب قبل سقوطها في قبضة اليهود المتحالفين مع الفرس بحيث كانت في جوهرها صراعا على النفوذ الاقتصادي ومحاولة للهيمنة على طرق التجارة، حيث تعتبر نجران إحدى المدن المهمة التي تتفرع منها الطرق التجارية إلى الخليج العربي والعراق عبر وادي الدواسر واليمامة وإلى الشام عبر مكة⁽⁴⁾.

ويستدل من النقش المعروف بنقش أبرهة، وهو نقش طويل يتألف من 36 سطر سجل فيه أبرهة ترميمه لسد مأرب في سنة 542م مدى التنافس بين الروم والفرس على السيطرة على جنوب بلاد العرب، حيث يذكر النقش انه وفد إلى أبرهة أثناء إقامته بمأرب وفود من نجاشي الحبشة ومن إمبراطور الروم، ومن كسرى فارس، كما وفد إليه وفود من المنذر حاكم الحيرة والحارث بن جبلة حاكم الغساسنة. ويفسر جواد علي قدوم هذه الوفود بمدى التنافس بين الفرس والروم من أجل ضم جنوب الجزيرة العربية إلى إحدى القوتين وذلك من أجل السيطرة على المنافذ التجارية البرية والبحرية فيقول هؤلاء المبعوثين لم يأتوا لمجرد تهنئة أبرهة بانتصاره على اليمن، بل لكسب صداقته ومحاولة جره إلى هذا المعسكر أو ذلك، وخاصة بعد سيطرته على اليمن التي تتمتع بموقع جغرافي مهم في التجارة الدولية البرية والبحرية آنذاك، بالإضافة إلى إنتاجها للعديد من المنتجات التي يحتاجها السوق العربي الشمالي والروماني والفارسي مثل البخور واللبان، لذلك حاول كل من الفرس والروم والممالك العربية الصغيرة الدائرة في فلك السياسة الفارسية والرومانية إيجاد موطأ قدم لهم في جنوب شبه الجزيرة العربية، وعمل كل منافس على تسخير كل قوته السياسية من أجل إبعاد منافسيه وتحطيمهم⁽¹⁾.

(2) نقلا عن نينا فكتورفنا فنايغوليفسكيا، المرجع السابق، ص105.

(3) نينا فكتورفنا بيغوليفسكيا، المرجع السابق، ص105-106.

(4) ينظر إبراهيم بيضون، الحجاز والدولة الإسلامية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت: 1983، ص42.

(1) جواد علي، المرجع السابق، ج3، ص490-491.

ولم يكتفي الرومان والأحباش باحتلال جنوب بلاد العرب بل حاولوا السيطرة على منطقة الحجاز عن طريق السيطرة على مكة واحتلالها، ويبدو أنهم كانوا يخططون لاحتلال كامل بلاد العرب عن طريق الانطلاق من الجنوب إلى الوسط ثم الشمال على عكس حملة اليوس غالوس التي انطلقت من شمال بلاد العرب إلى جنوبها ولم تنجح في تحقيق أهدافها، لذلك فكر الرومان مرة أخرى في إعادة مشروع السيطرة بالقوة على بلاد العرب بالاشتراك مع حلفائهم الأحباش في هذه الحملة التي ستنتقل من الجنوب إلى الشمال والتي عرفت باسم حملة أبرهة على مكة.

حملة أبرهة على مكة عام 57م:-

يورد العديد من المؤرخين العرب القدماء عدة أسباب لحملة أبرهة على مكة عام 570م منها قيام احد الأعراب بتدنيس كنيسة القليس ببعض القاذورات⁽²⁾، بينما يرى البعض الآخر قيام بعض الأعراب بإيقاد نار قرب كنيسة القليس، وكان يوماً شديداً الريح مما ساعد على انتقال النار إلى الكنيسة واشتعالها⁽³⁾، ويرى الطبري أن أبرهة قام بتعيين شخص يدعى محمد بن خزاعي رئيساً على قبيلة مضر إلا أن أهالي مضر رفضوا رئاسة محمد بن خزاعي وقتلوه، فلما علم أبرهة بذلك هاج وماج وحلف ليغزون بني كنانة ويهد من البيت⁽⁴⁾، وعلى أي حال ربما تكون هذه الأسباب قد حدثت حقيقة أو تكون أسطورة وضعت في ذلك الزمان ولا يعقل أن تكون لأحد هذه الأسباب السابقة الذكر وكما رواها أهل الأخبار سبباً مباشراً لغزو أبرهة لمكة، ولا يعقل أن يكون انزعاج أبرهة وقسمه بغزو بني كنانة وهدم البيت راجع إلى حزنه على قتل صديقه كما جاء في رواية الطبري، بل لأن كنانة ومكة كانتا ترفضان سياسة أبرهة ومراميه التوسعية التي كانت تقضي بفرض سيطرته وسيطرة حلفائه الرومان على مكة وكنانة وتعيين أمير عليهما يتبع سياستهم.

ويبدو أن حملة أبرهة على مكة كانت خطة رومانية مدبرة مع حلفائهم الأحباش للسيطرة على دواخل بلاد العرب وربط اليمن ببلاد الشام حتى يتخلص الرومان من سيطرة الفرس على الطرق المؤدية إلى بلاد الشرق، وسيكون في إمكان الرومان جلب بضائع الشرق رأساً عن طريق بلاد العرب، وهذا ما يؤكد المؤرخ بروكوبيوس الذي يقول "أن نجاشي الحبشة أصدر أوامره إلى أبرهة بالزحف شمالاً إلى الحجاز ثم شرقاً نحو الخليج وذلك لفتح جبهة حربية ضد الفرس، الذين كانوا يشتبكون في تلك اللحظة في حرب مريرة ضد الروم في آسيا الصغرى، وتخفيف وطأة هجومهم على جبهة الروم الآسيوية"⁽¹⁾.

وبعد أن فشلت محاولات الأحباش وحلفائهم الرومان في غزو مكة، ونجاح الحميريون في هزيمة الأحباش وطردهم من اليمن بمساعدة الفرس، وأصبحت بلاد اليمن تحت الوصاية الفارسية لم تكتفي محاولات الرومان عن النفاذ من جديد إلى بلاد العرب عن طريق المحاولات السلمية للسيطرة على بلاد الحجاز ومكة وأبعادها عن النفوذ الفارسي، وذلك من خلال محاولة تنصيب عثمان بن الحويرث حاكماً على مكة وبالتالي جعلها أمانة تابعة لهم رداً على سيطرة الفرس على بلاد اليمن، ويذكر المؤرخون أن عثمان بن الحويرث تنصر في سبيل التقرب إلى الرومان، وأنه طلب من قيصر أن يكتب له كتاباً إلى أهالي مكة يقضي بتنصيبه حاكماً عليهم، فكتب له الكتاب وختمه بالذهب، ولما عرضه عثمان على أهالي مكة رفضوه ونهض أحدهم ويدعى الأسود بن المطلب وقال "إن قريشاً لقاح لا تملك ولا تملك" وقال الأسود بن أسد بن عبدالعزيز "أن مكة حي لقاح لا تدين لملك" فاتفق أهالي قريش على عدم تمكينه من الإمارة عليهم رغم تهديده لهم باعتراض الرومان لتجارتهم فقال لهم "يا قوم أن قيصر قد علمتم أمانكم ببلادهم وما تصيبون من التجارة في كنفه، وقد ملكني عليكم، وأنا ابن عمكم، وأحدكم، وإنما

⁽²⁾ الطبري، المصدر السابق، ج 2، ص 131.

⁽³⁾ ابن الأثير، عزالدين ابوالحسن الشيباني، الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت: 1965، ج 4، ص 549.

⁽⁴⁾ الطبري، المرجع السابق، ج 2، ص 131.

⁽¹⁾ نقلاً عن سيد أحمد الناصري، الروم والمشرق العربي، ص 192.

أخذ منكم الجراب من القرظ والعكة في السمن والأوهاب، فاجمع ذلك، ثم أذهب إليه وأنا أخاف أن أبيتهم ذلك أن يمنع منكم الشام، فلا تتاجروا وينقطع مرفقكم منه"⁽²⁾.

ويبدو أن رفض المكيين كتاب قيصر الروماني الذي ينص على تنصيب عثمان بن الحويرث حاكماً على مكة يأتي نتيجة حرصهم على الموقف الحيادي من الصراع الفارسي الروماني تأميناً لتجارتهم بين الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية، لأن انحيازهم إلى الروم يعني خروج مكة عن سياسة الحياد التي اتبعتها تجاه الإمبراطوريتين، وهذا بالتالي يؤدي إلى عرقلة تجارتهم مع الفرس والمناطق التابعة لهم ومن ثم تؤدي إلى خسارة مادية فادحة لتجارة أهل مكة، خاصة بعد أن استولى الفرس على اليمن التي تربطها بمكة علاقات تجارية واسعة.

الخاتمة

مما سبق يتبين أن الرومان أدركوا منذ القدم أهمية موقع بلاد العرب الجغرافي في العالم القديم، ولذلك حاولوا بسط نفوذهم على تلك المنطقة بكل السبل منذ عهد الإمبراطور الروماني أغسطس الذي قام بإرسال حملة عسكرية إلى بلاد العرب سنة 25 ق.م بقيادة اليوس غالوس وبالتعاون مع دولة الأنباط من أجل السيطرة على الطرق التجارية البرية والبحرية المؤدية إلى بلاد الشرق، وبعد إخفاق الحملة الرومانية في تحقيق أهدافها لم يعد الرومان يفكرون في غزو بلاد العرب غزواً برياً مباشراً، بل اتجهوا إلى تقوية أسطولهم في بحر القلزم وتحسين علاقاتهم مع سادات القبائل والدول الفاعلة في المنطقة مثل دولة الحبشة التي عقدوا معها اتفاقيات صداقة وتحالف كان من نتائجها إرسال البعثات التبشيرية لبلاد العرب للتبشير بالمسيحية وتحريض الأقباش على غزو جنوب شبه الجزيرة العربية ومكة وتقديم العون لهم، كذلك حاول الرومان السيطرة على بعض المناطق في بلاد العرب من خلال تعيين حكام تابعين لهم على تلك المناطق مثل محاولة تعيين عثمان بن الحويرث حاكماً على مكة.

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب السماوية.

.القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر:-

- ابن الأثير، عزالدين ابوالحسن الشيباني، الكامل في التاريخ، دارصادر للطباعة والنشر، بيروت: 1965م.
- سترابو، جغرافية سترابو، الكتاب السادس عشر، ترجمة محمد المبروك الدويب، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي: 2006م.

- الطبري، ابوجعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، دارالكتب المصرية، القاهرة، ب.ت.

ثالثاً: المراجع:-

- إبراهيم بيضون، الحجاز والدولة الإسلامية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت: 1983م.

- أسهمان سعيد الجرو، التاريخ السياسي لجنوب شبه الجزيرة العربية، مؤسسة حماد للخدمات والدراسات الجامعية، عدن: 1996م.

- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دارالعلم للملادين، بيروت: 1971م.

- جورج فاضلو حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر، القاهرة: 1958م.

- حسين الشيخ، الرومان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية: 1993م.

⁽²⁾ جواد علي، المرجع السابق، ج4، ص92.

- سيد احمد الناصري، الروم والمشرق العربي، مركز نشر جامعة القاهرة: 1993م.
- عبدالمجيد عابدين، بين الحبشة والعرب، دار الفكر العربي، القاهرة: 1947م.
- على محمد معطي، تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام، دار المنهل اللبناني، بيروت: 2003م.
- فكتور سحاب، أيلاف قريش، دار كومبيونشر والمركز الثقافي العربي، بيروت: 1982م.
- لطفي عبدالوهاب يحيى، العرب في العصور القديمة، دار المعارف، الإسكندرية: 1990م.
- نيثا فكتورفنا بيغوليفسكيا، العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت: 1985م.
- رابعاً: الرسائل العلمية:-
- إبراهيم محمد الصلوي، قصة أصحاب الأخدود، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة اللبنانية، كلية العلوم الاجتماعية، 1984.
- خامساً: الدوريات:-
- جمال زكريا قاسم، انتشار الإسلام في جزر الشرق الأقصى، مجلة العربي، مارس: 1971م.
- سيد أحمد الناصري، الرومان والبحر الأحمر، مجلة الدارة، العدد الثاني، يناير: 1981م.
- سادساً: المراجع الأجنبية:-
- Montgomery – watt: Muhammda at Mecca. Oxford University press 1953.

المحتويات

رقم الصفحة	عنوان البحث
7	((إسهامات الشيخ "حمزة أبو فارس" في التعريف بعلماء ليبيا؛ القدامى والمحدثين)) د. عصام عليّ مفتاح الخُمري
21	العزّة شرطُ كمالٍ أغلبي لكتّابي الصحيح كما هو قول ابن العربي الواضح الصريح إعداد: د. محمد محمد أبو عجيبة
48	الوظائف المتحفية الأساسية وتطورها واثرها على تنوع وتطور مفهوم المتحف د. معمر محمد عباد
85	القبة الضريحية للمسجد الجامع في قرية ماغال بجنوب داغستان خلال القرن 18م/12هـ دراسة أثرية فنية معمارية د.حنان سالم زريق
103	(الإمبراطورية الرومانية ومحاولات السيطرة على جنوب وسط بلاد العرب قبل الإسلام) د. سالم عبدالسلام عرفة
113	تأثير وقت جني الثمار على جودة الزيت لعينات من زيت الزيتون داخل نطاق مدينة مسلاته أ. عبدالله إِمحمد طربان أ. أسماء عمار الكريوي